ثقافة عراق اليوم:

هل الثقافة العراقية على مفترق طرق؟

٢-١

علي عبد العال

تتعرض الثقافة العراقية اليوم إلى خلخلة كبيرة في الأسس والتوجهات بمستوياتها التقنية ـ الإدارية ـ السياسية ـ الاجتماعية وعلى صعيد المسؤولية العامة للدولة. يُضاف إلى ذلك المحك الشعبي الذي يمثل المضمار الأساسي والحاضنة الطبيعية لإنتاج واحتواء ثقافة المجتمع العراقي ونشاطه الإبداعي بشكل عام. ومن ثم إنتاجه الفكري الحيوي الذي يسهم بتشكيل موقعه الحضاري بين الشعوب والأمم بشكل خاص. وهو محك تجتمع جميع العناصر المذكورة آنفا بصقله وبلورته كي يصبح قيمة حضارية من شأنها أن تكون علامة تاريخية دالة على هذه الحقبة الزمنية أو تلك.

الإسهام الثقافي العراقي بشقيه الوطني والعربي يتمتع برصيد غني ارتقى في بعض الفترات ليحتل موقع الريادة في مجمل مجالات الإبداع والنشاط الأدبي والثقافي على الصعيد العربي عندما توفر له المناخ الملائم. لكنه سجل تراجعا ملحوظا خلال العشرين سنة الماضية بسبب الظروف السياسية الاستثنائية التي خضعت لها دولة العراق. إذاً، وبعد الزلزال السياسي الذي حدث بالعراق عقب انهيار النظام السابق، يبدو القول بأن الثقافة العراقية بمؤسساتها ومرافقها وإنتاجها الإبداعي تقف على مفترق طرق هو قول ليس بعيدا عن الواقع في هذه الحقبة الزمنية التي تقرب من شكل المخاض العسير.

النظم السياسية ترسي في المحصلة نوعا من الأنماط الثقافية تعبر عنها وعن مضامينها الأيديولوجية وتطبع حقبتها التاريخية بهذا النمط أو ذاك من الثقافة الرسمية، هي بالأخير "ثقافة" تعبر عن أخلاق الدولة ومنظورها العام للمجتمع الذي تقوده والحيز الجغرافي الذي تشغله وتعيش فيه. فتظهر دولة الحزب الواحد التوتاليتارية، وتظهر الممالك والسلطنات وأشكال الحكم العشائري والقبلي التي تصبغ المجتمع ومؤسسات الدولة ومرافقها الثقافية والإدارية وسلطاتها التشريعية والقضائية والتنفيذية بألوان تخص كل نوع من أنواع أنظمة الحكم بصبغة دالة عليه. في الوقت الذي نحرص فيه على القول وبتحفظ شديد إلحاق ذات الصبغة بـ "الثقافة الشعبية" لأن النمط الأخير يُعد مزيج من الأنماط الوجدانية والفلكلور الشعبي هو بحاجة إلى زمن طويل يستوعبه التاريخ كحالة مستمرة كي يستجيب إلى أنظمة الحكم ذات الصفة الطارئة تاريخيا. ذلك يتطلب من النظام السياسي ونوعية الحكم أن يعبرا القرن، أو قرون لكي يمس تكوين الهاجس الشعبي بالصميم كما في النظم الإقطاعية الثيوقراطية، أو أنظمة الحكم البرجوازية التي تحولت أخيرا إلى ديموقراطيات اجتماعية تتخذ مسارها التصاعدي نحو آفاق جديرة بأن يحيا فيها الإنسان للتمتع بالعلوم والصحة والثقافة الإنسانية بمختلف أشكالها الأدبية والفنية. أما النظم الأخرى التي أفرزها التاريخ، والتي لم تسمح لها لا الأقدار ولا التاريخ بالوصول إلى أشواطها الأخيرة، فقد أرست هي الأخرى العديد من الأنماط الثقافية التي كانت تعتمد بالدرجة الأولى على الأيديولوجيا والنظريات الاجتماعية أكثر من اعتمادها على نبض المجتمع الحقيقي وحاجاته الروحية العميقة من دين ومفاهيم تراثية وقيم اجتماعية وفنون فلكلورية وشعبية وأحاجي وخرافات إلى آخر هذا السيل الخصب من الإبداع الشعبي الذي لا تغيره نظرية مهما كانت مؤثرة وعميقة، ولا تلغيه مطبات تاريخية عابرة ومؤقتة سرعان ما تزول في برهة من التاريخ وكأنها لم تكن قد وجدت أصلا.

أين يقف العراق اليوم في هذه المعادلة التاريخية على الصعيد الثقافي؟

إذا توخينا الموضوعية وبعض الدقة فأننا سنعود إلى الوراء قليلا لفحص أبرز العلامات التي شكلت المسار الثقافي العام للدولة العراقية، وبالتالي أفرزت عناصرها ومفاهيمها التي أسهمت بصياغة وبلورة أنماط الثقافة العراقية. انبثقت الدولة العراقية في بداية عشرينات القرن الماضي كمملكة جديدة حازت على عضوية عصبة الأمم. مكونات الدولة وعناصرها تألفت من طبقة الأمراء العرب الهاشميين وشيوخ العشائر ورجال الدين وملاكي الأراضي ونخبة رجال الجيش الذين درسوا وتلقوا علومهم العسكرية والدراسية في الأستانة أبان الاحتلال العثماني للعراق. بوصلة هذا النظام ودفته كانت بيد بريطانيا العظمى. لا يمكن ، إلا في حال التجني على الواقع والوقائع، الإدعاء بأن النسيج الاجتماعي العراقي آنذاك كان نسيجا متجانسا له منظومة أهداف ومصالح وطنية عليا، سياسية واجتماعية أو اقتصادية أو روحية موحدة أو متجانسة على أقل تقدير.

بل على العكس من ذلك. فقد كان المجتمع العراقي عندما تأسست الدولة العراقية شديد التباين والانقسام حتى ضمن المجموعات العرقية والدينية الكبرى التي كانت تبدو من الخارج وكأنها مجموعات متجانسة عرقيا أو دينيا. على سبيل المثال كانت الكتلة العربية، وهي أكبر التجمعات البشرية في العراق عددا وانتشارا على أوسع مساحات جغرافية، متمايزة وتتصف الشرائح الاجتماعية المؤلفة لها بتباين كبير. فهناك العربي العشائري . وهذا ينقسم بدوره إلى عدة أصناف ومواقع اجتماعية واقتصادية كعرب الإبل ومشايخ البادية الأرفع شأنا من الفلاحين، والمعدان أصحاب الأهوار المختصين اقتصاديا بتربية الجاموس. وعرب المدن، أي الحضريين. وهؤلاء يقسمهم العامل الجغرافي حيث يقيمون ويعيشون، إلى العديد من الفئات الاجتماعية المختلفة بعضها عن البعض الآخر. فالعربي المقيم على ضفاف نهر الفرات ليست تجمعه ذات الميول أو ذات الأهداف مع العربي الذي يجاور ضفاف نهر دجلة. وهذا وذاك لا تمدهم أو تصلهم جذور قوية مع العربي أبن المدن والحواضر. وبين الطرفين هنالك الكثير من حالات الترفع والازدراء المتبادل بين الطرفين. كل من موقعه ومقدار الفخار الذي يشعر به كل طرف على حدة. وإذا أضفنا العامل الطائفي الذي قسم مسلمي العراق إلى طائفتين كبيرتين متمايزتين، فأننا ومن دون لبس نشعر بعدم انسجام هذه الكتلة العربية الداخلي ومن ثم تأثير هذا الانقسام المباشر على عناصر الرؤية الدينية والاجتماعية وبالتالي، وفي المحصلة الكبرى الرؤية الثقافية لمكونات هذه الكتلة المرشحة الوحيدة لقيادة المجتمع في ظل الدولة القائمة حديثا. أما الحديث عن بقية مكونات المجتمع العراقي فهي باتت واضحة ومعروفة عند الحديث عن العنصر القومي الكبير الثاني الذي يتكون منه المجتمع العراقي ونقصد الأكراد. يُضاف لهم الكلدآشورين واليزيديين والصابئة المندائيين واليهود والتركمان. هذا التكتل البشري المتنوع، والذي له قبلات ومراجع خارجية يتبعها كل حسب مصالحه الاقتصادية أو الدينية أو الثقافية والروحية كان مازال كسيف ذي حدين. فإما أن يكون في صالح النمو والتطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي في حال الوئام والانسجام الوطني، وإما أن يكون حجر عثرة في طريق تطور هذا المجتمع في حال العبث وتغليب المصالح القومية والطائفية الضيقة على المصالح الوطنية الكبرى.

مع هذا، وبالرغم من هذا النسيج الاجتماعي غير الموحد وغير المتجانس قوميا ودينيا وسياسيا واقتصاديا، استطاعت الحقبة الملكية إنتاج أهم عناصر ومكونات الثقافة العراقية التي سادت مفاهيمها حتى بعد انهيار النظام الملكي ذاته الذي أطاح به الزعيم عبد الكريم قاسم في ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ . وبالإمكان القول أن عناصر ومكونات تلك الثقافة، التي من اللائق إطلاق عليها مصطلح (الثقافة التأسيسية) أضحت هي المرجع والمورد الرئيس لقياس درجات تطور الثقافة العراقية في مختلف مراحلها اللاحقة. في مرحلة التأسيس الثقافي تلك كانت تختمر لبنات المكونات الثقافية العراقية، ليست بشكل عشوائي كما سيحدث في الفترات المتقدمة من تاريخ العراق السياسي وأشكال أنظمة الحكم المتعاقبة فيه، وإنما بطريقة منظمة وملتزمة وتكاد تكون أكاديمية. فلم يكن بالمستطاع أن يأخذ العراق حقل الريادة في الشعر العربي الحديث أواسط القرن الماضي متمثلا ببروز شعراء كبار أمثال بدر شاكر السياب ونازك الملائكة وعبد الوهاب البياتي وغيرهم كان لهم الباع الطويل بتغيير مفاهيم وأساليب الشعر العربي الحديث برمته. ولم يكن من الصدفة أن تظهر دراسات الدكتور علي الوردي في علم الاجتماع التراجم والدراسات القيمة والأكاديمية العالية المستوى للغة السومرية لمحمد باقر. ولا يمكن لحاضنة غير منتجة وغير صحية وغير ملائمة أن تحتفظ بشاعر كبير كالجواهري وبحر العلوم والكاظمي والرصافي والزهاوي والكثير غيرهم. وهذا الجيل الكبير والمخضرم جيلا مبدعا وحيويا لفت إليه الانتباه على الصعيد العربي والعالمي بعض الأحيان. جيل سعدي يوسف والحيدري ومردان شعريا، والتكرلي وفرمان على صعيد القص. ليعقبهم جيل أستمد ثورته وصداه من هذا المناخ الاجتماعي والسياسي الحار والحيوي ليؤسس نظرته وفكره الثقافي التنويري في العراق والدول العربية، ونقصد به جيل "الستينات" الأدبي، الشعري منه على الأخص.

شهدت عقود الخمسينيات والستينيات والسبعينيات من القرن المنصرم ظهور المؤسسات الثقافية العراقية الأكاديمية الحقيقية. دار الفنون الجميلة،أكاديمية الفنون الجميلة، اتحاد الكتاب، الفرقة الوطنية للموسيقى، الفرقة الوطنية للمسرح، وباقي الفروع الثقافية المهتمة بالشعر الشعبي والأغاني الشعبية. أي تلك المؤسسات والأطر التي أخذت دورها العملي التنفيذي في إرساء الأنشطة الثقافية على قاعدة اجتماعية عامة أخذت بشكل طبيعي بعين الاعتبار تنوع المجتمع العراقي القومي والديني والسياسي. وكان لها الإسهام، مهما كان ضئيلاً، في بلورة هوية العراق الثقافية على الصعيد العربي والمحيط الجغرافي الذي ينتمي له العراق.

بعد الانقلاب الذي قاده حزب البعث العربي الاشتراكي في ١٧ تموز ١٩٦٨ بدأت اللعبة تتغير في العراق على مختلف الأصعدة الاجتماعية بكل مرافقها الحيوية اقتصادية كانت أم سياسية أم ثقافية. ما نال الثقافة العراقية هو أبشع صورة يمكن أن تلحقها ثقافة قومية عنصرية مزيفة بطابع جماهيري ملفق. وأول ما أقدمت عليه هذه السلطة ذات التوجهات القومية العنصرية هو تقييد حرية الإبداع ولجم الصحافة وجعلها مجرد بيان حزبي يصدره كل صباح ما يسمى بمجلس قيادة الثورة. وحصر المؤسسة الثقافية للدولة برمتها واختصارها إلى مرافق ميتة وعليلة مختصة بـ "فكر الحزب القائد" و "فكر القائد الضرورة". أستمر هذا ضمن وتيرة متصاعدة ضبطها قانون سياسي تعرفه الناس جيدا عن الأنظمة الدكتاتورية هو قانون: "من سيئ إلى أسوء" أستمر هذا القانون يعمل على تخريب الثقافة العراقية ومؤسساتها طيلة ثلاثة عقود ونصف. من عام ١٩٦٨ لغاية سقوط الدكتاتورية أبريل ٢٠٠٣ . فأغلقت المعاهد الفنية وأكاديمية الفنون الجميلة بوجه غير البعثيين. وتحولت ميادين الإعلام الرسمية للدولة من إذاعة وتلفزيون وصحف ودوريات إلى مجرد طبول ومزامير لأعضاء حزب البعث وجوقة المتملقين الساعين إلى الشهرة والرزق. بالتالي كان يجب أن يحصل ما حصل، انهيار الثقافة العراقية بمؤسساتها التي فقدت تواصلها مع نسيجها الاجتماعي والشعبي العام. وكذلك انهيار المستوى الإبداعي للمثقف العراقي، على الأقل من الناحية الإعلامية، إلى مستوى الفقر والانطواء والاضمحلال. وصار عضو حزب البعث هو الجنرال وهو الشاعر وهو القاص وهو الفنان المسرحي وهو الممثل السينمائي وهو المطرب وهو العازف الموسيقي وهو كل شيء في هذا الوجود وما عداه هم مجرد أعداء للثورة والحزب الحاكم، يتحتم عليهم لقاء جزائهم "العادل" في أن يكونوا من المغيبين، أو قاطني السجون، والأفضل من هذا وذاك هو أن يذهبوا إلى الجحيم والقبور. حتى صار ضابط من حرس حماية رئيس الجمهورية، وهو صهره وضحيته الشاب "صدام كامل" بطلا سينمائيا في فيلم "الأيام الطويلة"، وربما عاجله القدر قبل أن يتحول إلى مخرج سينمائي يضاهي يوسف شاهين. وصار رمز النظام الكبير ذاته كاتبا روائيا مرتخيا ومحنكا، يترك شؤون الحكم والبلاد ليصدر ثلاثة أعمال روائية ملحمية طويلة في أحرج فترة تتعرض فيها الأمة العربية والبلاد للحصار ومخاطر الحرب. روايات شغل بها الساحة الثقافية العراقية والعربية وانبرت لها الأقلام المجهولة والمأجورة لتملأ الصحف والمجلات والإذاعة والتلفزيون ببحوث وآراء نقدية لم تكتب بحق أبن خلدون أو نجيب محفوظ ولا دستوفسكي.

الدهشة... الإنعتاق

مقالة غير منشورة للفقيد
اسعد محمد علي

كنت دائماً انتظر فرحي، رغبتي في الكتابة والتمرين المتواصل في الموسيقى.. ما الذي ينفع المرء اذا خسر اوقاته، اذا خسر المتع النادرة خلال سنوات العمر القصيرة. دائماً احلم بالآتي واللحظة الراهنة عندي قيمة عظيمة اعتز بها.. اعيش مع اوراقي وآلتي الفيولا صديقة عمري ورفيقة دربي، أتابع اوقات النهار، اتمتع بلون الصباح والمغيب.

هذا الانطباع يمنحني نشوة لا بديل لها في حياة اتصورها صحراء اذا خلت من الكتابة والموسيقى. ارسم احياناً لنفسي، اللوحة التي لا تترك في نفسي الدهشة الممتعة تكربني فاضطر احياناً إلى اتلافها. الدهشة! تكمن متعتي في الدهشة التي تمنحني اياها الرواية او سماع الموسيقى او اللوحة التي انجزها.. ثمة تداخل بين النفس والأثر، لحظة انعتاق من واقع معاش لا سيطرة لنا عليه والانغمار في لحظة كونية غير مجددة تنساب عميقاً، في حس الانسان وشعوره الذي يتلون كما الطبيعة تتلون فتترك الالوان آثاراً في النفس.

الدهشة أهي دهشة البداية ام دهشة التكامل ام دهشة الانجاز؟ ليس ثمة "تكامل" في الفن هذا شعوري دائماً حيال إنجازي الشخصي، لهذا اشعر بأن رواياتي ولوحاتي وتماريني للموسيقى المكثفة ناقصة تحتاج دوماً إلى لمسات واضافات وتغيير. تهفو النفس إلى انجاز قادم يفضي إلى امتلاك الكون والنفس تأتي دهشة الانجاز موزعة بين يقيني الانجاز وشك طفيف بأهمية الانجاز وجدواه. بالنسبة الي تكون النفس هي الحكم في هذا الموقف.

اذا اخفقت في حيازه شعور الرضا والقناعة، اكتئب فأخرج من البيت لامشي بلا اتجاه.. افكر طويلاً.. تأخذني خلال المشي جولات خيالية اصل عبرها إلى قرار يفضي الي موضوعاً روائياً جديد ينبثق فجأة من مكان مهجور على ضفة النهر. جرفٍ وحيد لم يعد احد يغمس قدميه في مائه الساكن.

هل اشعر آنذاك بالانعتاق؟

الانعتاق من واقع ضيق بعلاقاته، فسيح بمكوناته التي ننتبه اليها، انعتق من محيط ضاق بمطامع واحقاد لا نهاية لها، فلماذا اشغل نفسي بها؟ لماذا افكر بالآخرين؟ هكذا تتأجج النفس بين الرغبة الخاصة في الانعتاق، وبين مكبلات وجود احقاد غير مبررة الان بدأت محاولة ممارسة قرين نفسي خاص يعيد لي توازني.. اذا ما افتقدت التوازن.. افتقدت الرغبة في الاتيان بانجاز جديد.. قررت ان امضي من دون اكتراث بالمعوقات.. لا سبيل آخر إلى التواصل مع رغبتي التي اخشى عليها من الزوال.

تعقيب

الأُدباء والصحافة

باسم عبد الحميد حمودي

في صفحة (المدى الثقافي) ليوم الاربعاء الثامن من ايلول الماضي كتب الاستاذ عادل العامل مقالة عنوانها "الآثار السلبية لهيمنة الادباء على الصحافة ودور وزارة الثقافة واتحاد الادباء في انقاذ الادب والادباء" وهو عنوان غير صحفي لانه يتميز بالطول وايضاح المعنى العام للمقال من دون حاجة لزيادة واظنه -كل المقال- جاء من قبيل المماحكة فمتى تخلت الصحافة يوما عن الادباء في العالم الاول وليس العالم (الثالث) الذي شبه الكاتب فيه هيمنة الادباء على الصحافة بظاهرة استيلاء العسكر على السلطة في البلدان النامية.

واذا كان صحيحاً ان الادباء في العالم الثالث (شعراء وكتاب قصة وروائيون ونقاد لا علاقة لمواهبهم الابداعية الفكرية بالعمل الصحفي) فان احترافهم الصحافة دل على خبرتهم في هذا العمل اليومي المرهق فهم يمتلكون الرأي السياسي او الاجتماعي ويمتلكون اللغة المعبرة ورشاقة الجملة والقدرة على الحوار واستكشاف الاجواء وكتابة التقارير السياسية، والتحقيقات والعمل الصحفي في كل جوانبه ان هذا الامر لا يتعلق بكل اديب او شاعر ذلك ان الذين احترفوا العمل الصحفي من الادباء في العراق مثلاً قلة قليلة من بين آلاف المحسوبين على الصحافة وقد اثبتوا كفاءة وجدارة في النجاح في مهنة المتاعب ولا اريد هنا ان اتوقف عند صحافة العمود الجمهورية ولكني ارجع بعيداً إلى العهد الملكي مركزاً على ابرز الصحف الصادرة أيامها وهي (البلاد) و(الزمان) و(الاخبار) و(الشعب) لأقف عند كوادرها ولكني قبل ذلك اود الاشارة إلى ان دول العالم الاول (الذي لم يعد له ثان) وهو العالم الرأسمالي يحفل بالعديد من الصحفيين الناجحين الذين هم ادباء اساساً مثل هنري الامريكي وارنست همنغواي الذي عمل مراسلاً حربياً وماركيز الذي ما زال يكتب التحقيقات التلفزيونية والصحفية والان روب كرييه الفرنسي وغيرهم كثير ولا اهمية هناك ان يكون الكادر الصحفي اديباً او اعلامياً محترفاً فأعمهم هو ما يعطيه لصحيفته رغم وجود ملاكات صحفية اخرى تحترف العمل الصحفي من دون اهتمام مباشر بالادب بحكم التخصيصات الاخرى في السياسة والازياء والطبخ وعلوم التسلية والصفحات المتخصصة واذا عدنا إلى صحافة الخمسينيات وجدنا ان روفائيل بطي صاحب جريدة (البلاد) التي لها تأثيرها الاعلامي الكبير ايامها لم تشغل الا روفائيل بطي نفسه وكان ناقداً ادبياً ولكنه كان صحفياً جاداً له مدرسته الخاصة يشاركه فيها العديد من الصحفيين المحترفين امثال محمد حامد ومحمد ذياب وغازي العياش ومحسن البصري وسلوى زكو وعبد اللطيف حبيب وغيرهم كثير واولاده فائق وكمال وبديع وهؤلاء صحفيون محترفون فيما كان معهم صادق الصائغ يعمل خطاط على البلاستك للمانشيتات وفؤاد بطي القاص الذي كان مترجماً اضافة إلى صفحات القصة والادب التي كان يحررها الادباء.

وفي صحيفة (الاخبار) لم يكن غير حسين مردان وزهير احمد القيسي من الادباء فيما كانت (الزمان) حافلة بالكوادر الصحفية الصرفة مثل صبيح الغافقي وشاكر الجاكري وسواهما ممن لست اذكرهم الان لكن صحيفة (الشعب) ليحيى قاسم كانت تجمع عدداً من الادباء في ملحقها الاسبوعي الذي كان سياسياً ثقافياً فنياً وكان من هؤلاء القاصة الفلسطينية سميرة عزام والشاعر بدر شاكر السياب اضافة إلى فؤاد الونداوي والاذاعي حافظ القباني.

اخلص من ذلك ان ظروف العمل هي التي تحدد وجود الاديب داخل العمل الصحفي ام لا تنطبق هذه القاعدة على الصحافة الحزبية التي وظفت بعض الادباء مع المحررين المحترمين لبناء صحافة تستطيع النهوض بواجباتها السياسية بالدرجة الاولى لا الثقافية البحتة.

اما ان العراق لم يشهد منذ ستينيات القرن الماضي بروز ادباء وروائيين ونقاد وكتاب قصة بمستوى الجواهري والسياب والبياتي وعبد الملك نوري وغائب فرمان وعلي جواد الطاهر فالامر مردود وتماما لسببين اولهما ان الجواهري الكبير والسياب وفرمان كانوا من الصحفيين اللامعين وان عقد الستينيات شهد ايضاً جمعة اللامي وعبد الرحمن الربيعي وسواهما من ممتهني الادب والصحافة وشهد عبد الاله احمد وفاضل ثامر وياسين النصير ومهدي عيسى الصقر وفؤاد التكرلي وسواه وستظل الصحافة اليومية والاسبوعية مصدر عمل لبعض الادباء ولسواهم من الاعلاميين المتخصصين ولا نعتقد ان للمزاجية والارتجال اثر في الصحيفة الناجحة سواء أكان الأدباء مؤثرين اداريا فيها ام لا، ذلك ان الصحيفة الناضجة تتحرك ضمن رؤية واضحة وناضجة وهي لا تنجح لمجرد وجود متخصصين اعلاميين بل قادة فكر قادرين على النجاح بمطبوعهم باستخدام وسائل انتاج حديثة وتوظيف اقلام قادرة على تنفيذ رسالة الصحيفة ولا علاقة هنا لاتحاد الادباء او لوزارة الثقافة في عمل من ذلك النوع الذي يقترحه الكاتب باستخدام فائض العمل من الادباء في مجالات اخرى ذلك ان اية صحيفة تستطيع ببساطة الاستغناء عن خدمات أي عامل فيها دون مراجعة لأحد فلا حقوق للكسالى والمعوقين ومعظم صحف اليوم مستقلة او حزبية تبحث عن الملاكات الناجحة لتزجها في مهنة المتاعب التي لم تعد صحافة مقروءة فقط بل مسموعة ومرئية أيضا وللشاعر

سلطات خفية

عواد ناصر

١- سلطة الهذيان

الشجرة تعرى خائفة من شروط الخريف. أبواب ونوافذ مشرعة بالفطرة لمخاطر لا تدرأها الالوان ينام كلب في غاية الوداعة: يخاف سيده. البنات لم يركضن، كالعادة بعد انفضاض المأتم الحسيني، إلى زوايا معتمة تضيئها شموع منتصبة، بانتظار فحولات مختلفة شهية لكنها خائفة بينما راكبو الدراجات الهوائية يؤدون العابهم على الاسوار قبل ان يبدأوا السهر وهم يقبضون على خناجرهم. الخوف جعلهم يلعبون ببراعة النعاس ايضا علمهم الحلم وهم يقظون قلت للمرأة هل نخرج؟ قالت: افضل البقاء في البيت. اتعرفين ما هو الخوف؟ انه الحقل في حالة جمود، او قل هو الله لو قامت الساعة من دون علمه، او هو.. الخ.

لم انم، البارحة خوف كوابيسي لا عليك يا حبيبتي. لا تعبأي بالموت وانت على قيد الحياة دائماً. السرير طبيعة صامتة قبل ان تتحاور فوقه الاصابع والجلود المدبوغة وشهقة الموسلين الطافرة بين الشفاه والمخدة، نعم، انا خائف ايضاً.

٢- سلطة الميليشيا

الشخص المسلح عند الناصية. عمي لم يجد الجامع. اختطفوا الجامع واختي لم تجد ابنها الذي اختطفه رجل دين مسلح وقتله. اسم القتيل رياض جاسم حسين. اسالوا من قتله؟

٣- سلطة شخصية

جارنا رجل بسيط ولكنه مثقف: ثقافة الولاء.

٤- سلطة الصداقة

انا يتيم جداً. لماذا؟ لانك لا تعرفين صديقي "ابو عادل الشايب" الذي مات في كوبنهاكن. ثمة ساقية على الحدود العراقية التركية بالضبط. جلسنا عندها نستريح. أبو عادل" في جهة العراق وانا في جهة تركيا. قال ابو عادل مازحاً: لو كنت وطنياً لجلست إلى جانبي.. في الوطن!

(٥) سلطة الاخوة

ما هو آت يشبه ما فات
الاخ الاكبر مات
حسناً،
لكن الاخ الاصغر ما زال يكيد لأخوته
ويفخخ احلام الاخوات

(٦) سلطة السيف

ما عاد السيف يسلطه دكتاتور فوق رؤوس الناس.
لكن
ثمة سيف يضحك مختبئاً
تحت جلود الناس

(٧) سلطة ما بعد الحرب

المرأة في برواز خشب
اسود كان البحر
احمر كان الصخر
تتفلت خصلات من ربقة منديل ازرق
رجل من اعشاب وظلام واساطير
وزني متدارك
لكن البحر على مرمى خمس قصائد
ثمة اشجار تزحف، يا قومي-
المرأة تخرج من لغة الالبوم
رجل مهزوم
يتعقب ظلاً في راحة يده
وازيز دخان في عينيه
وامرأة تحت "سماء آمنة"
يعلوها قمر ملغوم...

(٨) سلطة الشعر

اكتب لأمحو..
أكشفكم لتشعروا بالبرد
لن اغطيكم لتشعروا بالدفء
القصيدة مفسدة لا مثابة...

لندن ١٦ / ٩ / ٢٠٠٤